نبذة في الرد على أهل الطريقة

للمعلِّم العلامة الشيخ سالم بن سمير الحضرمي

قام بكتابتها

عبد الله بن هادي العطاس

عفا الله عنه و غفر لوالديه

آمين

هذه نبذة للمعلم سالم سمير في رد أهل الطريقة في سنغافورة

سنة **١٢٦٩**هـ

كتبتها من نسخة إمام شريف أحمد بن جعفر الحبشي و إمام حج إلياس

بل أخذناها من يد إمام حج عبد الرحمن بن سليمان بإعارة شيخنا

الحبيب عثمان بن عبد الله بن يحيى إليه وهي سلخ ذي الحجة سنة **١٣٠٢**هـ

أو أول أقتوبر **١٨٨٥** م من سنة الفرنجي

[مقدِّمة المؤلِّف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتَّقين و الصلاة و السلام على سيدِنا محمّد سيِّدِ المرسلين القائلِ «مَن يُرِد الله به خيرًا يفقهه في الدِّين، و على آله الطيِّبين و أَصحابه الأَكرمين.

أمـّــا بعـــد :

ففي عام تسعٍ وستينَ ومائتينِ وألف (**١٢٦٩**هـ)، كنتُ في سنغافورة، وكان بها في ذلك الوقت بعضُ الحُجّاجِ يجمعُ كثيرًا من العامة، فيشغلُهم بالذِّكرِ في أوقاتٍ، ويجعلُ لهم خلوةً أربعينَ يومًا أو أقلَّ، ويُسمِّي ذلك طريقةً. فكانوا مُقبِلينَ على ذلك، ومُكِبِّينَ عليه، مع جهلِهم بالأحكامِ الشّرعيّةِ، وفَرْطِ غفلتِهم، واسترسالِهم في المنهيّاتِ قبلَ اشتغالِهم بما يَدْعوهم إليه.

وبعده، يزعمون أنَّ مَن دخل هذه الخلوة واشتغل بهذا الذِّكر في الوقت المخصوص نال منزلةً عاليةً في الدِّين، فاغترُّوا بذلك، مع أنَّ الدَّاعي لهم لم يُنبِّهْهم على تركِ المنهيَّاتِ وفعلِ المأمورات، ولم يُلزِمْهم بالتوبة، بل يُزيِّن لهم أنَّ هذه الطريقة غنيةٌ لمن سلكها، مع أمورٍ يَسْتَمْجِنُها الطَّبْعُ ولا يقبلها الشَّرع. فبعضُهم يَدَّعي الكشفَ مع جهلِهِ بالواجبات، بل ومعنى الذِّكرِ الذي هو مشتغلٌ به.

وكنتُ متوقِّفًا عن إنكارِ هذا الأمرِ حتى اتَّضحَ لي الحال، وظهرتْ حقيقةُ حالِ الدَّاعي إلى الطريقةِ ومَن يدعوهم إليها، فأحببتُ أن أُنبِّهَهم وأُذَكِّرَهم امتثالًا لأمرِه تعالى،

ووثوقًا بوعدِه في قوله: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات: **٥٥**] وقيامًا بفَرضِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، للآياتِ الواردةِ في ذلك، و بقوله ﷺ « مَن رأى منكم مُنكَرًا فليُغَيِّرْهُ بيدِه، فإنْ لم يَستطِعْ فبلسانِه، فإنْ لم يَستَطِعْ فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمانِ »[1]

فإن قلتَ: كيف صار الإشتغال بذكر الله و الخلوة به من المنكرات؟ **قلتُ** : هو على هذه الكيفية من المنكرات العظيمة لأمور :

الأمر الأول

أنكم، أيها المُقبِلون على هذه الطريقة، تركتم تعلُّمَ ما فرضَ اللهُ عليكم من العلم، وقد قال تعالى : ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: **١٢٢**] الآية، وقال تعالى : ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: **٤٣**]، و قال النبي ﷺ « طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ »[2] و قال ﷺ «اطلب العلم ولو بالصين »[3]

وقال العلماءُ، رضوانُ اللهِ عليهم، إنَّ العلمَ ينقسمُ إلى فرضِ عينٍ وفرضِ كفايةٍ. ففرضُ العينِ منهُ ما لا بدَّ للإنسانِ من تعلُّمِه، وهو ما يُصَحِّحُ به عقيدتَهُ من العلومِ الإيمانيَّةِ، وما تتمُّ به عبادتُهُ من الشَّرائعِ الإسلاميَّةِ، وما يَسلَمُ به من الأنام، وهو معرفةُ المعاصي الظاهرةِ والأدواءِ القلبيَّةِ.

---

[1] صحيح مسلم (**٤٩**) مسند أبي داود الطيالسي (**٢٣١٠**).

[2] سنن ابن ماجه (**٢٢٤**) صحيح عن أنس ابن مالك.

[3] الحديث لم يصح عنه ﷺ .

ويجمعُ ذلك قولُ صاحبِ الزُّبَد:

و العلم أسنى سائر الأعمال	وهو دليل الخير و الإفضال
ففرضه علم صفات الفرد	مع علم مايحتاجه المؤدي
من فرض دين الله في الدوام	كالطهر و الصلاة و الصيام
و البيع للمحتاج للتبيع	و ظاهر الأحكام في الصنائع
وعلم داء للقلوب مفسد	كالعجب و الكبر و داء الحسد

قال شارحُها الجمالُ الرملي :**أي فإنَّ من لم يعلم أركانَ العبادةِ وشروطَها، لم يُمكِنه أداؤُها** انتهى.

الأمر الثاني

إنه لا بدَّ لكلِّ عاملٍ أن لا يُقدِمَ على عملٍ حتى يعرفَ حكمَ اللهِ في ذلك العمل، ولهذا قال ابن زياد الوَضَعي : **ولا يُقدِمُ على عملٍ إلا بعد تبصُّر، وإلا كان باطلاً ويأثمُ به فاعلُه**. زاد بعضهم : **وكان كمن ركب مُتْنَ عَمياء، وخَبَطَ خَبْطَ عشواء.**

فمع عدمِ التعلُّمِ، صِرتُم بإقدامِكم على هذه الأعمالِ مأثومين، فيجبُ عليكم قضاءُ ما اختلَّ منها.

و الأمر الثالث

إنكم اشتغلتم بهذه الطريقة التي أقبلتم عليها عمَّا أوجبَ اللهُ عليكم القيامَ به فورًا. فمن ذلك تعلُّمُ ما وجبَ تعلُّمُه كما مرَّ، ومنها التوبةُ من الذنوب، والتوبةُ من الذنبِ واجبةٌ فورًا، كما قرَّر ذلك العلماءُ الأعلام.

قال الإمامُ الغزالي في كتاب التوبة: **الرُّكنُ الأوَّلُ في نفسِ التوبةِ وبيانِ حدِّها وحقيقتِها، وأنَّها واجبةٌ على الفور، وعلى جميعِ الأشخاصِ، وفي جميعِ الأحوالِ** انتهى.
وقال صاحبُ السير والسلوك[1] : **اعلمْ أنَّ التوبةَ واجبةٌ على الفورِ، لأنَّ تركَ المعاصي واجبٌ على الدوام، وطاعةَ اللهِ واجبةٌ على الدوام**

وقد نقل السنوسيُّ الإجماعَ على أنَّ التوبةَ واجبةٌ على الفور، فإذا كانت واجبةً على الفور، فحينئذٍ يلزمُ من تأخيرِها تضاعُفُ الذنوبِ على مَن لم يَتُب، لأنَّ تركَ التوبةِ ذنبٌ، فإذا لم يَتُب صارَ صاحبَ ذنبين: الذنبُ الأوَّلُ: ذنبُ الفعلِ القبيح. الذنبُ الثاني: الذنبُ الحاصلُ من تركِ التوبة.

وهذان الذنبانِ أيضًا تجبُ منهما التوبة، فإذا لم يَتُب منهما على الفور، صارَ صاحبَ أربعةِ ذنوبٍ، وعلى هذا فَقِسْ. انتهى مع حذفٍ يسير.

---

[1] هو الشيخ قاسم بن صلاح الدين الخاني (١١٠٩ هـ) فاضل متصوف، من أهل حلب. سافر إلى العراق والحجاز وتركيا، وعاد إلى حلب (١٠٦٠ هـ) وتزهد وقرأ على بعض المشايخ، ودرّس وولي الإفتاء إلى أن توفي، من كتبه «السير والسلوك إلى ملك الملوك» اهـ الأعلام للزركلي (٥/ ١٧٧).

فمَن اشتغلَ بنفلٍ أو غيرِه عمَّا أوجبَ اللهُ عليه فعلَهُ فورًا، كان مأثومًا، وكان فعلُهُ الذي اشتغلَ به حرامًا. قال الشيخُ ابنُ حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَحرُمُ على مَن لَزِمَهُ قضاءُ صلاةٍ فورًا التَّطوُّعُ، حتى يُكمِلَ ما عليه من القضاء.

و الأمر الرابع

ارتكابُكم بهذه الطريقة على غيرِ ترتيبِ الشرع، وهي في نفسها غيرُ موافقةٍ للقواعدِ المرضيَّة، كما أفهمَتْهُ الآياتُ القرآنية، بل صرَّحَتْ به الأحاديثُ النبويَّة، إذ كلُّ عملٍ على خلافِ السُّنَّةِ مردودٌ، لقوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] أي موافقا للسنة، وقال ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ماليس فيه فهو رد»[١]، قال الجمال الرملي في شرح الزبد عند قول الأصل :

و نيَّةٌ و القولُ ثمّ العملُ ❋ من غيرِ وَفقِ سُنَّةٍ لا تَكمُل

أي أن النية و القول و العمل إن وقعت على غير وفق سنة رسول الله ﷺ أي شريعته لا تكمل أي لا تعتبر لأنها معصية أو قريبة منها لقوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧][٢] انتهى.

---

[١] متفق عليه.

[٢] غاية البيان شرح زبد ابن رسلان (ص٨)

والأمر الخامس

إنكم وقعتم في ثلاث مهلكات وهي العجب و الغرور و الرضا عن النفس وهن من كبائر الذنوب محبطات للأعمال الصالحة سبب لاتسحوذ الشيطان على قلب الإنسان إذ جاء في الحديث أن نبي الله موسى سأل الشيطان بماذا تستحوذ على ابن آدم فقال لعنه الله : إذا أعجب بنفسه و استكثر عمله ونسي ذنوبه.

وقد جعل النبي ﷺ العُجبَ أعظمَ الذنوب كما في قوله : «لابتلاكم»[1] إلى آخر الحديث، وقد نَهَى اللهُ تعالى عن الغُرُورِ فقال : ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، والرِّضَا عن النَّفسِ عَيْنُ الحُمْقِ والضَّلاَل، إذْ هي مَحَلُّ القَبَائِحِ المُهْلِكَةِ. وحقيقةُ ذلك أنْ يَسْتَحْسِنَ الإنسانُ أفعالَهَا ويَنْسَى قَبَائِحَهَا، وهذا عَيْنُ الجَهْلِ، إذ سمَّاها النبيُّ ﷺ أعدا الأعداء في قوله ﷺ : « أعدى أعدائك نفسُك التي بين جَنبَيْك»[2]، وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وحقيقةُ الغرورِ أنْ يظنَّ الإنسانُ النجاةَ بعلمِه أو عملِه، فكيفَ بمنْ يَغْتَرُّ بعَمَلٍ مَرْدُودٍ، ويتمنَّى أنْ يَنَالَ به الفَوْزَ والنجاةَ؟ وقد قال ﷺ : « الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، والأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِيَّ».

---

[1] لم نعثر عليه لاختصاره الشديد رحمه الله ونفعنا به.

[2] قال العراقي: رواه البيهقي في كتاب الزهد (٢/٢٩) من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين اهـ تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٤/ ١٥٣٥).

فإنْ قُلْتُمْ: من أينَ عَرَفْتَ هذه المُهْلِكَاتِ فينا، وهي أخلاقٌ قَلْبِيَّةٌ لا يَعْرِفُهَا مِنْ نَفْسِه إلَّا صَافِي السَّرِيرَةِ، وأمَّا مِنَ الغَيْرِ فلا تُعْرَفُ؟

قلتُ: أعمالُ القلوبِ تُعْلَمُ مِمَّا يَظْهَرُ مِنْ أعمالِ الجوارِحِ، وقد ظَهَرَ عليكُم جَهْلُكُم بالواجباتِ القلبيةِ والغَالِبِيَّةِ، والخَبَائِثِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، وإعْراضُكُم عَمَّا أَمَرَكُمُ النبيُّ ﷺ بالتزامِهِ أوَّلًا، فاشْتَغَلْتُمْ عنه بهذه الطَّرِيقةِ وطَلَبْتُمْ بها رِضَا اللهِ تعالى مَعَ مُخَالَفَتِكُمْ لأمْرِهِ، بلْ لَمْ يَكْفِكُم هذا حتَّى ادَّعَيْتُمْ مَقَامَاتِ الأوْلِيَاءِ الذينَ اصْطَفَاهُمُ اللهُ، فَدَلَّ ذلكَ على اسْتِحْسَانِكُم هذا العَمَلَ، وأنَّهُ أزْكَى عِنْدَكُمْ مِنَ الوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وإنَّ نُفُوسَكُم صَارَتْ زَكِيَّةً صَالِحَةً لِقَبُولِ المَقَامَاتِ العَلِيَّةِ، وهذا عَيْنُ الهلاكِ.

وبِهِ تُعْلَمُ هذه الصِّفَاتُ وغَيْرُها، كالأمَانِيِّ التي تَقْطَعُ بصَاحِبِها عنْ مَنَاهُ، وقد نَهَى اللهُ عنها في الآيةِ المارَّةِ، وهي قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ [الحديد: ١٤] .

الأمر السادس

وهو أعظمُها وأقبحُها وأشدُّها، وذلكَ دَعْوَاكُمْ أنَّهُ يَكْشِفُ لكم في تلكَ الخَلْوَةِ شيءٌ مِنَ المُكَاشَفَاتِ الغَيْبِيَّةِ، وفي ذلكَ نِهَايَةُ الغُرُورِ والافْتِرَاءِ على اللهِ والزُّورِ، إنْ سَلِمْتُمْ مِنَ اعْتِقَادِ ما لا يَلِيقُ بِجَلاَلِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

فإنْ وَقَعْتُمْ - معَ جَهْلِكُمْ بالعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ - في شيءٍ مِنَ الاعْتِقَادَاتِ الفَاسِدَةِ، وَقَعْتُمْ في مَحْضِ الكُفْرِ والبِدْعَةِ، والعِيَاذُ باللهِ، مع أنَّ مَقَامَ الكَشْفِ لا يَنَالُهُ إلَّا مَنْ اجْتَمَعَتْ فيه الشُّرُوطُ الآتِيَةُ..

فقد وقعتم في هذه السِّتَّةِ الأمورِ التي ذكرناها بسببِ اشتغالِكم بهذه الطريقةِ، فصرتم مأثومينَ بها كما مرَّ من الأدلةِ الصحيحةِ وما يأتي من كلامِ علماءِ الدِّينِ، الجامعينَ بينَ الشريعةِ والحقيقةِ، العارفينَ بقواعدِ الطريقةِ.

وإنَّما سببُ هذه الغوايةِ ووقوعِكم في هذه البليَّةِ التي أبعدتْكم عن طريقِ الهدايةِ، دُعَاءُ هذا الحاجِّ لكم إلى هذه الطريقةِ وتزيينُها لكم، واعتقادُكم فيه أنَّهُ من أهلِ الولايةِ، فوقعتم في الإثمِ، ولا يعذِرُكم اللهُ بجهلِكم، إذِ الحقُّ واضحٌ.

وأمَّا الدَّاعِي لكم إلى هذا، فعليهِ مثلُ ما تحمَّلتُموهُ من الإثمِ، فقد جاء عنِ النبيِّ ﷺ «من دعا إلى هُدًى كان له من الأجرِ مثلُ أجورِ من تبعَهُ، لا ينقصُ ذلك من أجورِهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليهِ من الإثمِ مثلُ آثامِ من تبعَهُ، لا ينقصُ ذلك من آثامِهم شيئًا»[1].

قال سيِّدُنا الحبيبُ عبدُ اللهِ الحَدَّادُ، نفعَنا اللهُ به، بعد إيرادِ هذا الحديثِ : **وقد يموتُ هذا العالِمُ، ويبقى بعدَهُ ذنوبُهُ وزلَّاتُهُ، فيُعذَّبُ بها في قبرِه لبقاءِ العاملينَ بها**[2].

فإن قلتَ: كيف جعلتَ هذا الدَّاعِيَ من الدَّاعينَ إلى الضَّلالةِ؟

قلتُ: لأنَّهُ أمرَ بالاشتغالِ بهذه الطريقةِ المُفَوِّتَةِ للفَرائِضِ، كما مرَّ تقريرُها، ولأنَّهُ غَرَّ الجُهَّالَ بأنَّ هذه أرفعُ العباداتِ وأسناها، وأنَّ النجاةَ حاصلةٌ بها من غيرِ اعتبارِ واجباتِ

---

[1] صحيح مسلم (٢٦٧٤)

[2] الدعوة التامة والتذكرة العامة ط الحاوي (ص٧٠)

الشَّرعِ، وزَيَّنَ لهم ذلكَ حتى أعرضوا عمَّا أمرهم اللهُ به من الاستقامةِ على دينِهِ، فأتْعَبُوا أنفُسَهم بلُزُومِ الخَلْوَةِ أيَّامًا، لاعتقادِهِم أنَّهم إذا خرجوا منها نالوا الدَّرَجاتِ الدِّينِيَّةَ، وثِقَةً منهم بما وَعَدَهُم به من الفوزِ بمُجَرَّدِ الخَلْوَةِ.

وهذا معنى قولِ الحَسَنِ، رحمه اللهُ تعالى «أحدثانِ حَدَثًا في الإسلامِ: رجلٌ ذو رأيِ سوءٍ يزعمُ أنَّ الجَنَّةَ لِمَنْ رأى مثلَ رأيِهِ، ومُتْرَفٌ يعبدُ الدُّنيا، لها يَغْضَبُ، ولها يَرْضَى، وإيَّاها يطلُبُ، فارفضوهما إلى النَّار».

فإن قلتَ: إني لم آمرهم بتركِ الواجباتِ ولا بارتكابِ المنهياتِ.

قلتُ: ترغيبُكَ لهم في هذا العملِ مع أنَّهُ غيرُ واجبٍ، ومعرفتكَ بحالهم، وعدم إلزامهم بما أمرَ الشرعُ بإلزامِهِ، دليلٌ على ما ذكرنا، كما سيأتي إيضاحُ ذلك.

وقد تقرَّر بالآياتِ القرآنيةِ، والأحاديثِ النبويةِ، وإجماعِ الأئمةِ المحمديةِ، حتى صارَ من العلومِ الضروريةِ، أنْ لا نجاةَ في الدنيا والآخرةِ، ولا فوزَ بالمقاماتِ الفاخرةِ، إلا بلزومِ اتباعِهِ ﷺ المبينِ له قولُهُ تعالى : ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢] فمن لزمَ الاستقامةَ كما أمرَ اللهُ، ظاهرًا وباطنًا، حصلَ لهُ الاتباعُ.

ولصعوبةِ ذلكَ، كان العلماءُ باللهِ والعاملونَ له، إذا عملوا الصالحاتِ، اشتدَّ خوفُهم من اللهِ، كما أخبرَ عنهم سبحانه وتعالى في قولِهِ : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] الآية. قالت سيدتُنا عائشةُ رضي الله عنها: لما سألتُ رسولَ اللهِ

ﷺ عن هذه الآية، قال : « يصلونَ ويصومونَ ويحجونَ، ويخافونَ أنْ لا يُتَقَبَّلَ منهم.»[1] انتهى بمعناه.

فقد سمعتَ أيها الداعي ومن تبعَكَ، مما مرَّ من الأدلةِ، أنَّ الخيراتِ كلَّها مجموعةٌ في اتباعِهِ ﷺ فيما أمرَ به ونهى عنه، ولذلك وجبَ تقديمُ ما أمرَ بتقديمِهِ، وفي ذلكَ كفايةٌ لمن أرادَ اللهُ هدايتَهُ، فما بعدَ بيانِ اللهِ ورسولِهِ بيان، غَيْرَ أَنِّي أُزِيلُ تَشْكِيكَكَ الحَاصِلَ فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ العَوَامِّ[2]، وَأَرْفَعُ الجَهْلَ المُسْدُولَ عَلَى قَلْبِكَ بِمَا أُورِدُهُ مِنْ نُصُوصِ الأَئِمَّةِ الأَعْلَامِ، مَعَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ وَحَدِيثِ المُصْطَفَى عليه الصلاة و السلام فَأَقُولُ:

سَبَبُ التَّغْلِيطِ وَالتَّشْكِيكِ دَعْوَاكَ أَيُّهَا الحَاجُّ أَنَّ هَذِهِ طَرِيقَةُ الصُّوفِيَّةِ، وَقَدْ وَقَعْتَ وَأَوْقَعْتَ غَيْرَكَ فِي أَعْظَمِ رَزِيَّةٍ وَأَشَدِّ بَلِيَّةٍ، وَهَا أَنَا أُقَرِّرُ لَكَ طُرُقَ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ لِتَعْرِفَ أَنَّهُمْ لَمْ يَحِيدُوا عَنِ الشَّرِيعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، بَلْ وَثِقُوا بِأَقْوَى عُرَاهَا، وَقَهَرُوا النُّفُوسَ بِمُخَالَفَةِ هَوَاهَا، وَعَمِلُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] وهربوا من مصداق قوله :﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٠] فَهُم عِندَ هَٰذِهِ ٱلآيَةِ وَاقِفُونَ، وَعَلَىٰ تَزۡكِيَةِ نُفُوسِهِم مِّنَ ٱلۡخَبَائِثِ مُحَافِظُونَ.

---

[1] رواه الترمذي (٣١٧٤) وفي سنده انقطاع لكن له شاهد يتقوى به من حديث أبي هريرة صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[2] أي لأن العوام تبقى في قلوبهم بقية، لظنهم أن للصوفية شيئًا آخر، كما سيأتي في أواخر هذه الرسالة. (ع)

فَأَقُولُ:

ٱعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَسَّسَ مُصْطَلَحَاتِ ٱلسَّادَةِ ٱلصُّوفِيَّةِ عَلَىٰ هَذَا ٱلْمِنْوَالِ هُوَ سَيِّدُ ٱلطَّائِفَةِ ٱلْجُنَيْدُ ٱبْنُ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَإِلَيْهِ تَرْجِعُ طُرُقُ ٱلصُّوفِيَّةِ جَمِيعًا كَمَا سَأُبَيِّنُهُ لَكَ.

فهو القائم بتأسيس هذه الطريق، وهو الواضع لها على التحقيق، ولكونه جامعًا لها، قال مفتي مكة المشرَّفَة إمام زمنه الشيخ محمد صالح الرئيس في عقيدته : **و إنَّ طريق الجنيد ابن محمد طريقٌ يقوم على السُّنةِ** أو ما في معناه، وطرق الصوفية كثيرة متعددة لكنها من الجنيد مستمدة، فمنها الخامل و منها المشهور.

فالمشهور قديما طريقة الإمام شعيب ابن أبي مدين و إليها ترجع سادتنا العلوية والسادة الشاذلية، ومن المشهور أيضا طريقة سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني و طريقة الشيخ عمر السَّهْرَوَرْدِي و طريقة السيِّد أحمد الرفاعي و طريقة الشيخ أبي إسحاق الكَازْرُونِي وغير هؤلاء من المتقدمين و المتأخرين كالسيِّد أحمد البدوي، و الشيخ عمر ابن الفارض، والخواجة الكبير، و بهاء الحق والدين المعروف بنقشبند، و الشيخ أحمد القشاشي، وغيرهم ممن لايحصر، فقد قيل أن الطُّرُقَ إلى الله على عدد أنفاس الخلائق.

والمقصود من ذلك التعريف بأنهم رضوان الله عليهم مُتَّحِدون و إن تعدَّدت طرقُهم كما ستراه في كلامهم الآتي المنقول عنهم لِتَعْلَم أنَّهم لا خلافَ بينهم، ومن العلوم اتحادهم و إن تعددت طرقهم وذلك لثلاثة أمور :

الأول : أن استمدادهم من الكتاب و السنة، فدليلهم واحد.

والثاني : أن سنة الله الجارية على ابن آدم أن جبله على خبائث مهلكات و محاسن منجيات، حتى قضى على جنس الإنسان بالخسر في قوله ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر: ١] إلى آخر السورة، فَسَعْيُ الصوفية رضي الله عنهم في الفَرَارِ من الخُسرِ لتطهير القلب من المهلكات، و تحلِيَتِه بالمُنجيات، فَسَبِيْلُهُمْ وَاحِدٌ.

الثالث : أنَّ مقصدَهم واحدٌ وهو أن تصيرَ النفسُ مطمئنةً تحتَ سِيَاسَةِ الشَّرعِ سامعةً لداعي مُولِيهَا لقوله ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] فجاهدوا في طلب الهداية المُرشِدِ إليها قولُه تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فهم في هذا يتنافسون وله يطلبون.

وأمَّا مايظنُّه الغبيُّ مِنْ أنَّ طريقَهم مختلفة[١] حقيقة لتعدُّدِ أَسمائِها فَهُوَ لِجَهلِه بِحَقيقة مَقْصَدِهِم و مُسْتَمْسِكِهم، فمقصودُهم واحدٌ كَمَا قَالَ قَائِلُهُمْ :

عبارتُنا شَتَّى وَحُسْنُكَ واحِدٌ * وَكُلٌّ إِلَى ذاكَ الجَمالِ يَشِيرُ

نعم، افْتِرَاقُهُمْ فِي مُصْطَلَحَاتٍ فِي تَرْتِيبِ سَيْرِالمريد بعد استجماع الشروط فيه وما يشتغلونه به، بل قد يُفرِّق الشَّيخُ بَيْنَ مُرِيدِيهِ فَيَسْتَعْمِلُ كُلاً بِمَا يَلِيقُ بِحَالِهِ.

ولهم رضوان الله عليهم في البدابات و النهايات مصطلحات بحسب ما يحصل لهم من الفتوحات و الإمدادات مما لا يجوز لنا الخوض فيه، وما المقصود الَّا التعريف بشأنهم و الذَّبِّ عن طريقتهم أن ينسب إليها ما ليس منها، إذ هم أولياء الله و خاصته

---

[١] في الأصل «مخلفته» و لعله تصحيف.

فانظر كيف وصفهم بقوله : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] الآية، فبيَّن سبحانه وتعالى أنهم لم ينالوا الولاية الَّا بالإيمان الحقيقي، ثم بالتقوى التي هي امتثال أوامر الله و اجتناب نواهيه، وقد قال في وصفهم ﷺ فيما يرويه عن ربِّه : «ماتقرب المتقربون إلي بمثل أداء ما افترضته عليهم ولايزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه» الحديث. قال الإمام الغزالي رضي الله عنه بعد إيراد هذا الحديث : **أي أن ترك الترتيب بين الخيرات من جملة الغرور، فإن المعصية ظاهرة، وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض، كتقديم الفرائض كلها على النوافل، وتقديم فروض العين على فروض الكفاية.**

فَعُلِمَ ممَّا دلَّتْ عليه الآيةُ والحديث المذكور أنَّهم رضوان الله عليهم لم يبلغوا ما بلغوا الا بتقوى الله و القيام بما فرضه عليهم ثم الإزدياد في نوافل الطاعات، فبهذا صاروا من المحبوبين، إذ لزموا اتباع سيد المرسلين، فلم يروا الإمدادات و الفتوحات الا بواسطة اتباعه ﷺ، ولذا قال الجنيد ابن محمد رضي الله عنه : الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ. وقال : **علمنا هذا مقيُّد بالكتاب و السنة.**

وقال شيخُهُ السري السَّقَطِي : **خصلتان يُبَاعِدَانِ العبدَ مِنْ الله تَعَالَى، أداءُ نافلةٍ بِتَضْيِيعِ فَرِيْضَةٍ وَ عَمَلِ الجَوَارِحِ مِنْ غَيْرِ صِدْقِ القَلْبِ.**

ثم إن طريقتهم رضوان الله عليهم رواها الأئمة الأعلام مقررة عنهم في عدة تصانيف، نفوا عنها الإبتداع و التحريف. فمنهم المتقدمون كأبي طالب المكي، والشيخ عبد الكريم بن هوزان القشيري، وحجة الإسلام الغزالي، و الشيخ عمر السهروردي، ومن بعدهم كابن عطاء الله الشاذلي، و الشيخ عبدالوهاب الشعراني، و سيدنا الحبيب

عبد الله الحداد، وصاحب السير و السلوك[1] و تاج الدين ابن مهدي الزمان النقشبندي طريقه وغيرهم ممن لا يحصى.

فقد قرروا الطريقة فمنهم من يقرر قواعدها و تفاصيلها على العموم كالإمام الغزالي وغيره، ومنهم من يقرر طريقته كإبن عطاء الله في طريقة الشاذلي، وتاج الدين ابن مهدي الزمان في طريقة النقشبندية، وكلُّهم يُقَرِّرون آدابًا و أُصُولًا وشروطًا واحدةً، لم يقترفوا في أصلٍ ولا فرعٍ كما ترى ذلك من كلامهم المنقول في هذه العجالة مما مرَّ و مما سيأتي مِنَ الّذِين إذَا سَمِعْتَه أَلْجَمَكَ عن الإعتراض، وعرّفك أنّك خارجٌ عن طريقتِهم، وسأنقل من كلامهم ما يعرفك التزامهم الاستقامة و إن الحقيقة والشريعة متلازمتان، وأُبيِّنُ بعضَ ما اشتَرطُوه في المريد من الشروط، وماعتبروه في الشيخ من الكمالات، و ماقرروه من شروط الخلوة التي هي على طريقتهم، وشروط داخلها كما ستراه مبِينًا إن شاء الله.

مع مامر من كلامهم قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : الشريعة مؤيدة بالحقيقة، والحقيقة مقيدة بالشريعة. وقال أيضا بعد كلام طويل له رضي الله عنه[2] : «ما نجا من نجا الا بمراعات الوفا، و تحقيقِ الحيا، و تخليصِ الرِّضَى، وصد الإعراض عن الدنيا، وهي الحجاب العظيم و بها يتبين الخالص من المُتَبَهْرِج».

وقال الإمام القشيري في رسالته : «شرط الولي أَن يَكُون محفوظا كَمَا أَن من شرط

---

[1] سبقت ترجمته (ص٥) من الرسالة.

[2] في الأصل «رضي الله عنها نجا من نجا الا..» ولعله تصحيف و الصحيح ما أثبتناه، والله أعلم.

النَّبِي أَن يَكُون معصوما، فَكُل من كَانَ للشراع عَلَيْهِ اعتراض فَهُوَ مغرور مخدع»[1].

وقال أيضا أن السبب الباعث له على تصنيف الرسالة المذكورة حصول الفتن في الطريقة إلى أن قال : «وزال الورعُ وَطُوِيَ بساطُه، واشتدَّ الطَّمعُ وقَوِيَ رِبَاطُهُ، وارتحل عن القلوب حرمةُ الشريعة، فعَدُّوا قلَّةَ المبالاة بالدين أوثَقَ ذريعةٍ، ورفضوا التَّمييزَ بين الحلالِ والحرام، ودانوا بترك الإحترام، وطرح الإحتشام، واستخفُّوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات، وركنوا إلى اتِّباع الشَّهوات، وقلَّة المبالاة بتعاطي المحظورات، والإرتفاق بما يأخذونه من السوقة[2]، والنِّسوان، وأصحاب السلطان، ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال»[3]

إلى أن قال : «ولعل الله سبحانه يجُود بلطفِه في التَّنبيه لمن حاد عن السنة المُثلى في تضييع آداب هذه الطريقة» إلى آخر ما أطال به.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى بعد كلام ساقه في الإستقامة على سواء السَّبيل : «فكلُّ من أراد النجاةَ فلا نجاةَ له إلَّا بالعمل الصَّالح، ولا تَصدُرُ الأعمالُ الصالحةُ إلَّا عن الأخلاق الحسنة فليَتفقَّد كلُّ عبدٍ صفاتَه وأخلاقَه وليعدِّدها، وليشتَغِل بعلاجِ واحد

---

[1] الرسالة القشيرية (٢/ ٤١٦).

[2] السوقة في اللغة تطلق على عامة الناس، والمراد في السياق : هو ما يحصلون عليه من عامة الناس، بغير وجه حق من التسوُّل و الإستغلال.

[3] المصدر السابق (١/ ١٦)، و رحم الله الإمام القشيري.

واحد»[1] انتهى

وقال السَّهروردِي في العوارف : «ثم إن إيثَاري لهدْيِ هؤلاء القوم، ومحبَّتِي لهم علمًا بشرف حالهم، وصحة طريقتهم المبنيَّة على الكتاب والسنة»[2] وقال فيها أيضا : «وللصوفية في طريقهم باب مريدهم، وصحة طريقهم بحسن المتابعة، ومن ظن أن يبلغ غرضا أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور»[3].

«وكان أبو سعيد الخرَّاز[4] يقول : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل، وكان يقول الجنيد رحمه الله : عِلمُنَا هَذَا مُشتَبَكٌ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وقال بعضهم : مَن أَمَرَ السُّنَّةَ على نَفسِهِ قَولًا وَفِعلاً نَطَقَ بِالحِكمَةِ، وَمَن أَمَرَ الهَوَى على نَفسِهِ قَولًا وَفِعلاً نَطَقَ بِالبِدعَةِ »[5]

«وقال سهل بن عبدالله : كل وجد لا يشهد له الكتاب و السنة فباطل، هذا حال الصوفية وطريقهم. وكل من يدعي حالا على غير هذا الوجه فمدَّع مفتون كذَّاب»[6] انتهى من العوارف مع حذف وتصرُّف يسير.

---

[1] إحياء علوم الدين (٣/ ٦٤).

[2] عوارف المعارف ط الثقافة الدينية (ص١١).

[3] المصدر السابق (١/ ٦٢).

[4] في الأصل «أبو سعيد الخدري» ولعله تصحيف و الصحيح ما أثبتناه، والله أعلم.

[5] المصدر السابق (ص٦٢).

[6] المصدر السابق (١/ ٦٣)

وقال الإمام عزُّ الدين ابن عبد السّلام في كتابه «حل رموز» بعد كلام طويل «فالشريعة إقامة بوظائف العبودية و الحقيقة مشاهدة الربوبية، فالشريعة مجاهدة و الحقيقة مشاهدة، ولا تباين بينهما إذهما متلازمتان. إذ الطريق إلى الله تعالى لها ظاهر و باطن، فظاهرها الشريعة و باطنها الحقيقة، فبطون الحقيقة في الشريعة كبطون الزبد في لبنه، والكنز في معدنه، فبدون مخض اللبن و حفر المعدن لا يظفر من اللبن بزبده، ولا من المعدن ببلوغ قصده، فالمراد من الحقيقة و الشريعة إقامة العبودية على وجه المراد فكل شريعة لا حقيقة لها فهي عاطلة وكل حقيقة لا شريعة لها فهي باطلة»[1] إلى آخر ما أطال به.

وقال الإمام الغزالي في البداية الهداية : «واعلم أن الهداية التي هي ثمرة التقوى لها بداية و نهاية و ظاهر وباطن، فلا وصول إلى نهايتها الا بعد إحكام بدايتها، ولا عثور على باطنها الا بعد العبور على ظاهرها»[2] انتهى

وقال صاحب السير و السلوك : «التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا و باطنا، و الشريعة فعل المأمورات و ترك المنهيات و الطريقة هي تتبع أفعال النبي ﷺ»

وقال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد نفعنا الله به : «فعليك بسلوك الطريقة وهي التزام التقوى ظاهرا و باطنا، وتدبر الآيات و الأخبار، والنظر في ملكوت السماوات و

---

[1] حل رموز ط الجزيرة (ص٢٨-٢٩)

[2] بداية الهداية (ص٢٥-٢٦) و في المطبوع «ثمرة العلم» بدل « ثمرة التقوى».

الأرض على قصد الإعتبار، وتهذيب أخلاق النفس و تلطيف كثافاتها بحسن الرياضة»[1] إلى آخر ما أطال به.

وقال تاج الدين النقشبندي طريقه المذكور آنفا «اعلم وفقك الله تعالى أن معتقد السادة النقشبندية قدس الله أسرارهم هو معتقد أهل السنة و الجماعة، وطريقتهم دوام العبودية التي لا تتصور بغير أداء العبادة» انتهى.

وقال عبد الرؤوف تلميذ الشيخ أحمد القشاشي لما قرر طريقة شيخه المذكور المنسوبة إلى الشيخ عبدالله الشطاري قال : «و تمسك بالقرآن العظيم و بسنة رسول الله الكريم تهدي و تثبت على الصراط المستقيم، وقد قال ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى : إني تاركت فيكم كتاب الله وسنتي فإنه لن تعمي أبصاركم و لن تزل أقدامكم و لن تقصر أيديكم ما أخذتم بهما الحديث، ولا تتبع الهوى» انتهى.

وقال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد : «وعليك بالتمسك بالكتاب و السنة فإنهما دين الله القويم، وصراطه المستقيم، من أخذ بهما سلم وغنم ورشد وعصم، ومن حاد عنهما ضل و ندم و هلك وفصم، فاجعلهما حاكمين عليك و متصرفين فيك، وارجع إليهما في كل أمرك»[2].

فعُلِمَ لك أيها السامعُ لِمَا أمليناه من كلام هؤلاء الصوفية، أَنَّهم ملازمون للشَّريعةِ ظاهرًا و باطنًا، وإنّ الحقيقةَ و الطريقةَ و الشريعةَ شيءٌ واحدٌ لا ينفكُّ أحدُها عنِ الآخَر،

---

[1] رسالة المعاونة و المظاهرة و المؤازرة ط دار الحاوي (ص٣١)

[2] المصدر السابق (ص٢٦)

وسَأَنْقُلُ من كلامهم ما اشترطوه في المريد السَّالِكِ وفي الشيخ المُسَلِّكِ فأقول :

قال الإمام الغزالي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في منهاج العابدين : «والذي يتوجَّه على المريد سلوك سبيل الله، قطع العقبات الحائلة بينه و بين ذلك، وهُنّ سبعٌ أوَّلها : عقبة العلم، ثم عقبة التوبة، ثم عقبة العوائق، ثم عقبة القواطع، ثم عقبة البواعث، ثم عقبة القوارح، ثم عقبة الحمد و الشكر» انتهى بمعناه.

وقال في الإحياء : « فإن تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له إرادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم له شروطاً لا بد من تقديمها في بداية الإرادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق، أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الإرادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق»[1]

«والسد بين المريد وبين الحق أربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه

وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود

---

[1] إحياء علوم الدين (٣/ ٧٥)

له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليداً فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فإن غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيداً له وحجاباً إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلاً وأما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم فإن من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فإن ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أولاً ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح الشريعة أولاً وآخراً ثم الترقي إلى أغوارها وأسرارها

فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به»[1] إلى آخر ما أطال به مما يحتاجه السالك.

وقال عز الدين ابن عبد السلام لما ذكر المراتب الدينية قال : «اعلم أن هذه رتب ثلاث لا تصل إلى واحدة منها حتى تحكم ما قبلها، ولكل واحدة منها طريق معلوم و سلوك مقسوم، وأصل ذلك كله و ملاّكه التوبة» وأطال الكلام في ذلك إلى أن قال : «واعلم أن السالك إذا صدق في توبة لزمته المجاهدة واستعمال جوارحه في الطاعة»

---

[1] المصدر السابق (٣/ ٧٥)

انتهى.

وقال الإمام السهروردي في العوارف : «اعتبرت المقامات و الأحوال فرأيتها يجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الإيمان وعقوده و شروطه، فصارت مع الإيمان أربعة» «أحد الثلاثة بعد الإيمان : التوبة النصوح، و الثاني : الزهد في الدنيا، والثالث:تحقيق مقام العبودية به و العمل لله ظاهرا و باطنا من غير قصور و فتور»[1] انتهى

وقيل لوهيب بن الوردي رحمه الله تعالى : هل يجد لذة العبادة من يعص الله؟ قال : «لا، ولا من يهم بالمعصية»

وقال ابن عطاء الله في «الحِكم» : «كيف يرحل إلى الله قلب وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله تعالى وهو لا يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته» انتهى.

وقال بهاء الدين النقشبندي في طريقه فيمن ذكره من آداب المريد «فصل في الآداب الظاهرة مع الله تعالى هي أن يكون قائما بالأوامر والنواهي الشرعية، ويكون دائما على الطهارة مستغفرا محتاطا في جميع الأمور، ويكون متبعا لآثار السلف الصالح عاملا بها، وآداب الباطن وهو أن تحفظ قلبك من جميع الأغيار»

وقال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به : «أول شيء يبدأ به المريد تصحيح التوبة إلى الله من جميع الذنوب، وإن كان عليه شيء من المظالم لأحد من الخلق فليبادر بأدائها إلى أربابها» ثم قال «ولتعلم أيها المريد أن للقلب معاصي هي أقبح و

---

[1] العوارف المعارف ط الثقافة الدينية (ص٥٣٠) بالتصرف من المؤلف.

أفحش من معاصي الجوارح، ولايصلح القلب لمحبة الله و معرفته الا بعد التخلي عنها، و التخلص منها فليكن قصدك أيها المريد و همتك من الدنيا خرقة تستر بها عورتك، ولقمة تسد بها جوعتك من الحلال فقط»[1] وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «أن من أهم المهمات على سالكي هذا الطريق بعد أخذ مالابد لهم منه من العلم التحري البالغ و الحرص التام على تناول الحلال»[2] انتهى.

وقال في العوارف في آداب الأكل «فأهم الأمور في الطعام أن يكون حلالا»[3] انتهى ما أمكن إيراده من كلِّ أهم في بعض شروط المريد، فإذا سمعتَ ذلك مع ما اشترط فيه حالة الخلوة من الشروط، ظهر لك صحة ما قدَّمْنَاهُ مِن أنَّ الآخذين في هذه الطريقة مأثومين لعدم وجود هذه الشروط فيهم.

و أما ما يشترط في الشيخ المسلِّك، قال الإمام الغزَّالي : «يشترط في الشيخ أن يكون شيخًا عارفًا زكيًّا بصيرًا بعيوب النَّفس، مُشفِقًا ناصحًا في الدِّينِ، فارغًا من تهذيب نفسه، مشغولًا بتهذيب عباد الله» إلى آخر ما أطال به.

وقال صاحب السير و السلوك : «اعلم أن من كان بصدد الإرشاد لابد أن يكون عالما بما يحتاج إليه المريدون من الفقه و عقائد أهل السنة و الجماعة، وأن يكون عالما بكمالات القلوب وآفات النفوس و أمراضها و دوائها، ويفتقد حفظ صحتها و اعتدالها،

---

[1] رسالة آداب سلوك المريد ط الحاوي (ص١٠-١١ ، ٣٨)

[2] الدعوة التامة و التذكرة العامة (ص٩٩)

[3] عوارف المعارف (ص٣٧٣)

وأن يكون ناصحا فينظر في حال المريد بعدما يصحبه مدة. فإن رآه قابلا للسلوك سلكه و إن رآه غير قابل نصحه و قال له ارجع إلى حرفتك»[1].

وقال تاج الدين النقشبندي : «طريقة الشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة و تحقق بالتجليات الذاتية» انتهى

وقال صاحب العوارف بعد كلام طويل في وصف الشيخ أورد حديثا قال في آخره : «أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده و يحببون عباد الله إلى الله»

قال الشيخ «ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية، فأما وجه كون الشيخ بحبب عباد الله إلى الله، لأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الإقتداء برسول الله ﷺ، ومن صح اقتداءه و اتباعه أحبه الله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ووجه كونه يحبب الله إلى عباده لأنه يسلك بالمريد طريق الزكية، فإذا تزكت النفس انجلى مرآة القلب» إلى أن قال «قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]»[2] إلى آخر ما أطال به.

فهذا بعض ما ذكروه مما يشترط في الشيخ حسبما تقرر ذلك فيما يأتي إن شاءالله تعالى، و أما ما ذكروه في الخلوة و شروطها :

قال الإمام الغزالي في كتاب آداب العزلة من «الإحياء» بعد أن أملا فرائد العزلة و آفاتها قال : « فالمحتاج إِلَى التَّعَلُّمِ لِمَا هُوَ فَرْضٌ عَلَيْهِ عَاصٍ بالعزلة» « فَالْعُزْلَةُ فِي حَقِّهِ قَبْلَ

---

[1] السير و السلوك (ص٢٠٧) بالتصرف.

[2] عوارف المعارف ط الثقافة الدينية (ص٩٤) بالتصرف.

التَّعَلُّمِ غَايَةُ الْخُسْرَانِ، وَلِهَذَا قَالَ النخعي وَغَيْرُهُ : **تَفَقَّهْ ثُمَّ اعتزل،** فمن اعْتَزَلَ قَبْلَ التَّعَلُّمِ فَهُوَ فِي الْأَكْثَرِ مُضَيِّعٌ أَوْقَاتَهُ بِنَوْمٍ أَوْ فِكْرٍ فِي هَوَسٍ وَغَايَتُهُ أن يستغرق الْأَوْقَاتِ بِأَوْرَادٍ يَسْتَوْعِبُهَا وَلَا يَنْفَكُّ فِي أَعْمَالِهِ بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدري ولا ينفك اعتقاده في الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ ضُحْكَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَهُوَ يَرَى نَفْسَهُ مِنَ الْعُبَّادِ

فَالْعِلْمُ هُوَ أَصْلُ الدِّينِ فلا خير في عزلة العوام والجهال أعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزم فيها فمثال النفس مثال مريض يحتاج الى طبيب متلطف يعالجه فالمريض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه، فلا تليق العزلة إلا بالعالم»[1] انتهى مع حذف.

وقال السهروردي في العوارف : «وقد غلط في خلوة الأربعينية قوم حرفوا الكلام عن مواضعه، ودخل عليهم (الشيطان) و فتح عليهم بالغرور، ودخلوا الخلوة على غير أصل مستقيم، وسمعوا أن المشايخ الصوفية كانت لهم خلوات وطهرت لهم وقائع و كوشفوا بغرائب و عجائب، فدخلوا الخلوة لطلب ذلك و هذا عين الاعتلال و محض الضلال، و إنما القوم أي الصوفية اختاروا الخلوة و الوحدة لسلامة الدين، و تفقد أحوال النفس و إخلاص العمل لله تعالى»[2] إلى أن قال «فمن دخل الخلوة معتلا[1] في

---

[1] إحياء علوم الدين (٢/ ٢٣٦)

[2] عوارف المعارف ط الثقافة الدينية (ص٢٣٣)

دخوله دخل عليه الشيطان، وسوَّل له أنواع الطغيان، وامتلأ من الغرور و المحال، فظن أنه على أحسن الحال، فقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها، وأقبلوا على ذكر من الأذكار، واستجمعوا نفوسهم بالعزلة عن الخلوة، ومنعوا الشواغل من الحواس، كفعل الرهابين (من النصارى)[2] و البراهمة و الفلاسفة.

والوِحْدَة في جمع الهمِّ لها تأثير في صفاء الباطن مطلقا، فما كان ذلك بحسن سياسة الشرع و صدق متابعة رسول الله ﷺ أنتج تنوير القلب و الزهد في الدنيا و حلاوة الذكر...وغير ذلك و ماكان من ذلك من غير سياسة الشرع و متابعة رسول الله ﷺ ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب علوم الرياضة مما يعتني به الفلاسفة و الدهريون خذلهم الله تعالى.

وكلما أكثر من ذلك بعد عن الله، ولايزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية...، ويظن أنه فاز بالمقصود، ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى و البراهمة، وليس هو المقصود من الخلوة»[3] انتهى

وفي حاشية الكتاب المذكور : «اعلم أن فائدة الخلوة قهر النفس ومخالفة دواعي الهوى، وتربية القلب و الروح، فمخالفة الهوى وقهر النفس إنما يحصل بالعروف عن

---

[1] في الأصل : «مقبلا» ولعله تصحيف و ما أثبتناه من «عوارف المعارف» المطبوع.

[2] بين قوسين زيادة من «الأصل» لم توجد في المطبوع.

[3] المصدر السابق (ص٢٣٣-٢٣٤) بالتصرف.

الخلو[1] والإنقطاع عن تعلقات الدنيا» انتهى

وقال فيها أيضا : «وما يحصل للراهبين من النصارى في رياضتهم من الكشف، فذلك لصفاء الباطن من خلو المعدة، فيظن أحدهم أن ذلك هو المقصود الذي يقرِّبه إلى الله تعالى، وهو في أسفل سافلين، حيث فاته الإيمان الذي هو رأس المال و الإخلاص الذي هو ربحه، ولهذا قال سيدنا علي رضي الله عنه : «لعن الله الجوع الذي ساوى بيننا وبين الراهب بتنوير باطنه مع ضلاله عن الحق» انتهى.

ومنها أيضا في شروط الخلوة : «أن يكون المتخلي زاهدا في كل ما سِوَى الله، مزينا قلبه بالتقوى و عقله بالإيمان، عامرا جوارحه بالطاعة، مشروحا صدره بنور الإسلام و أنفاسه بأنوار الصدق و الإخلاص، معرضا عن حب الدنيا و حب الجاه و المال، ويرتضي رياضة من قلة الأكل، وطول الصمت، وكثر الصوم والصلاة و الصدقة و الصبر و الشكر» إلى آخر ما أطال به إلى أن قال : «وأن يكون ثيابه وغذاؤه من وجه حلال لا يريه الشيطان بالوسوسة» انتهى مع حذف أكثر.

هذا ماتيسر إيراده من بعض ماذكروه في شروط الخلوة، فإذا قد سمعتَ كلامهم رضوان الله عليهم في الخلوة وشروطها وما قبله مما اشترطوه في الشيخ و المريد وما حققوا به أصل طريقتهم وقواعدها (...)[2] على كمال الاستقامة تحصل لك من ذلك أربعة أمور : الأول أن طريقة الصوفية رضوان الله عليهم هي لزوم المتابعة له صلى الله عليه وسلم في أفعاله و

[1] كذا في «الأصل».

[2] ساقط في «الأصل».

أقواله وجميع أحواله العبادية و العادية، فمَن كمُلت متابعتُه ارتفعت منزلتُه، ومن نقصت متابعته نقصت مرتبته.

فالمخصوصون بكمال متابعته على الإطلاق أصحابُه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فهم الحائزون لها ظاهرا و باطنا و محققون بحقائقها، ولهذا أعرضوا عن جميع المألوفات وزهدوا في الدنيا مالها و جاهها ورياستها، بل زهدوا في آبائهم و أولادهم بل في نفوسهم، ولم يبق لهم همٌّ ولا نظرٌ و لافكرٌ الا في كل ما يحبُّه الله و رسولُه كما أخبر عنهم سبحانه و تعالى في كتابه العزيز في كثير من الآيات، منها قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] الآية فزكت أعمالهم لكمال يقينهم الحاصل لهم لمجرد الاجتماع به ﷺ مع الإيمان، فارتفعت بذلك عن نفوسهم الحجب وانطوت لهم المسافات، فلهذا صاروا في أعلا الدرجات لا يبلغ فضلهم أحد غيرهم و إن بلغ النهاية في مقام الولاية.

فمن أراد اللحوق بهم في مقامهم الرفيع كالسادة الصوفية رضوان الله عليهم، احتاج إلى جهاد النفس و تطهرها و تزكيتها إذ هي كما أخبر عنها في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] فبالإجتهاد بسياسة الشريعة وذلك إلزامها الطاعات وقهرها عن المحرمات و فطمها عن الشهوات و المألوفات تتطهروا و تزكوا، ولا يزال العبد في شدة مجاهدتها و ملازمة مقادمتها حتى يحصل له مقام اليقين فيتحقق بالاتباع لسيد المرسلين.

الأمر الثاني : ما علم من كلامهم فيما اشترطوه في المريد حتى يكون أهلاً للإرادة، فمِن ذلك وجوبُ تقديم الفروض العينية عليها، منها تعلُّمُ ما يحتاج إليه مما مرَّ تقريره مع

معرفة لما يعرض له من الخواطر الشيطانية و الحفوظ النفسانية. ومنها التوبة من جميع الذنوب و رد الحق إلى أربابها، ويلزمه تطهير النفس عن كل خُلق ذميم كالعجب و حب الدنيا وغير ذلك من القواطع و المهلكات القلبية، وتحلية القلب بكل خُلق كريم كالتواضع و الاخلاص و التوكل وغير ذلك من المنجيات، فيلزمه معرفة حدود الأخلاق القلبية، ودواء أدوائها، و دوام المجاهدة، والإقبال على الله بلزوم الطاعات مقدِّما للواجبات، مكثرا من النوافل، معرضا عن الشهوات من المباحات، قاصدا بأعماله إذا لعبودية لله، و غير ذلك من الشروط التي مرَّت في كلامهم رضي الله عنهم.

الأمر الثالث : ماقرروه في صفات الشيخ حتى يتأهل لتسليك المريدين مما مر في كلامهم و ما اصطلحوا عليه، فمنها أن يكون عارفا بالعلوم المحتاج إليها في تصحيح الأعمال الظاهرة و الباطنة مطلعا على دقائقها و خفاياها، قد اتصف بالكمال في جميع أحواله وهو قولهم : فارغا من تهذيب نفسه، بأن صارت نفسُه كاملة و قد ترقَّى إلى أعلا مقامات اليقين، ليكون آخذا بيد المريد في العقبات السبع التي مرَّ ذكرُها ليدفع عنه أمراض النفوس و آفاتها.

فكل ما مر ذكره من المقامات يكون الشيخ متحقِّقًا بذلك ؛ ذوق أو وجدان، الأقوال أو هذيان فإن علومهم رضوان الله عليهم حقيقة مسميات لأسماء لا تدرك بقراءة الكتب ولا بتحصيل العلوم، و إنما هي ثمرة التقوى الحقيقية كما قال الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وعلامتها كما مر الإعراض عن الدنيا و عن ما سوى الله، فلا يكون له محبوب الا مولاه.

ولعظمهم مقامهم و عزة إدراكه قال بعض العلماء : «أن من ادعى أحوال أولياء

الله وهو خال عنها يختم له بسوء الخاتمة والعياذ بالله، لأنها علوم لا يعرفها الا من اطلعه الله عليها بالعناية الربانية بعد شدة المجاهدة كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فشرط الشيخ عزيز الوجود لأنه يربي القلوب و يجر النفوس، فإذا لم يكن مربيا لنفسه حارسا لها فكيف يحرس غيره، كما قال بعض الصوفية : «من عجز عن تأديب نفسه فهو عن تأديب غيره أعجز».

الأمر الرابع : أن الأسرار الربَّانيّة و الكشوفات الحقيَّة لا تظهر الا على من سلك طريقة مَن فاضت منه جميع الأنوار و الأسرار المصطفى ﷺ كما قال الله تعالى ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١] فمقام المحبة هو الذي أشار إليه في الحديث القدسي «إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» إلى آخر الحديث.

فمن كان في المتابعة، ونزَّه قلبَه عن الالتفات إلى غير الله، يحظى من الله بواسطة هذا النبي الكريم بأحوال و أسرار شريفة و مقامات منيفة لا ينالها الا من ليس له الْتِفَات إليها، بل يطلب رضى مولاه حتى تصير قرة عينه في طاعته فلا يبقى له محبوب ولا مطلوب الا الله.

فهذا هو الذي يصلح أن يكون من أهل الخلوة الأربعينية، اذ قد انقطع إلى الله وليس له مراد أن يظهر له كرامة الا في دار المُقامة، و أما من لم يكن من أهل هذا المقام و أراد الخلوة والإنقطاع مع ميل نفسه إلى الشهوات الدنيوية و عدم إحكامه الآداب الشرعية، وميله عن سنن السادة الصوفية، وتلطُّخِه بالأدواء القلبيَّة و الغالبيَّة، فأنَّى

يُدرك شيئا من هذه الأسرار، ويفيض عليه شيء من تلك الأنوار، كما قال الشيخ أبو بكر العدني :

ولا الأسرار الا لمن صفى السرائر

نعم، إن يظهر عليه شيء في خلوته أو حالة ذكره فهو من قبيل ما يظهر لمتعاطين الرياضة من أهل الأسماء و النجوم و الكهانة، بل من جنس ما مرَّ ذكره ممّا يقع لرهابين النصارى و البراهمة عبدة الأوثان، فهذا من الإستدراج كما مرّ عن سيّدنا علي وغيره.

وقد قرّر العلماء رضوان الله عليهم بأن الكرامة إن ظهرت على يد مستقيم على اتباع النبي ﷺ فهي كرامة، وإن ظهرت على يد غير مستقيم فهي استدراج كما قال تعالى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] ألم ترى قصة بلعام بن باعوراء و ما يقع له من استجابة دعاءه على قوم نبي الله موسى، ثم وقع له سبب أن خرج الإيمان من قلبه كالحمامة و العياذ بالله، وذلك بسبب ميله إلى الدنيا، وقد أخبر الله عنه في قوله ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] الآية.

وللشيطان ما هو أعظم من ذلك، فإنه تطير في الهواء، بل الكهان مع كفرهم و الفلاسفة يخبرون بأخبار السماء وغير ذلك من الأمور الغريبة مما هو ظاهر مشهور، ليتحقق ماقالوه العلماء رضوان الله عليهم أن الكرامة لا تعرف الا مع الإستقامة ظاهرا وباطنا، وعدم الالتفات إليها مع الإعراض عما يشغل من الله مع ما ذكروه مما هو شأن أولياء الله، فيظهر لك بذلك الفرق بين الحق و الباطل في الأمور الباطنة، ويعرفك الفرق بين الخلوة المحمودة و الخلوة المذمومة.

فمن اتصف بما ذكرناه من العلوم و الأعمال، و تأدب لآداب الخلوة، واجتمعت

فيه صفات المريد مما مرّ جميع ذلك في كلامهم، وقصد بذلك تأديب نفسه و تربية قلبه و اختلى، ثم بعد الخلوة أورثت له الزهد في الدنيا و الإعراض عنها و الإقبال على الله فهذا خلوته محمودة.

وأما من دخل الخلوة مه الإخلال بالشروط و الآداب، وعدم المعرفة لما اشترط معرفته لما مر فخلوته مذمومة، بل هي من جملة خلوة السحرة و أهل الأسماء و النجوم كما قرر ذلك العلماء رضوان الله عليهم.

وقد أطلنا الكلام بما لا يجوز لنا الخوض فيه من مقامات العلماء العارفين، لأن أحوالهم لا يطلع عليها سماسرة العلماء فضلاً عمّن هو مثبط بالشهوات ملطخ بالجنايات، فأحوالهم رضوان الله عليهم لا تسعها العقول، وإنما حملنا على إيراد ما أوردناه و تبيين ما أوضحناه لتعلم أنك أيها الحاجي الداعي إلى هذه الطريقة أنت و مَن غِرْتَهُم من العوام واقعون في قبيح الآثام لما قد بيناه لك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ونصوص السادة الصوفية و ما نشرناه من آداب أهل الطرق المرضية من القادرية و الغزالية و العلوية و النقشبندية و الشاذلية مما اعتبروه في طريقتهم و اشترطوه، وما اصطلحوا عليه و قرروه، ممّا يوضِّح لكل ذي عقل سليم أنك على غير سبيل قويم.

فهذه الطرق قد شرحناها، و هذه الشروط و الأعمال قد نشرناها، و هذه الدلائل قد بيناها، فبأيِّ دليل في طريقك هذه اهتديتَ، و بأي شيخ اقتديتَ، و في أي سبيل مضيتَ، فاعرض طريقتك هذه على طريقة السادة الصوفية تراها بعيدة عن طرفهم السنية، في حيد عن السبيل السوية، لأنا إن أعرضناها على القواعد الشرعية وجدناها مخالفة لها بالكلية، وإن قابلنا بها طرق السادة الصوفية خرجت عن قوانينهم المرضية،

فهل شيء من الآداب و الشروط الذي اشترطوها يوجد في خلوتك هذه فيمن تدعوهم إليها أم هي فيهم مفقودة.

فإن قلت : الشروط موجودة فيهم، **كذَّبَك ظاهر الحال**، إذ هم معروفون بحالهم بين ظهراني الناس لأنهم عريون عن شروط الخلوة والمريد التي اعتبروها السادة الصوفية.

ثم ما اشترطوه في الشيخ و أهلية للتربية مما أكثره لا يمكن الخوض فيه فهل أنت متحقق بذلك، **فإن قلت** : نعم، **قلت** : خرجت عن مرتبتهم العلية، إذ شأنهم خفي الدعوى و الرسوم، و التحقق بالتقوى و العلوم، مع إنك لو سُئِلْتَ عن مقام من مقامات اليقين أو رتبة من رتب السالكين علما و عملا لعجزت عن الجواب. ولم تعثرْ في ذلك عن الصواب إذَا سألك ذو دراية أوقابلك من كان له بفهم أقوالهم و اصطلاحاتهم عناية.

و أدلُّ دليلٍ على جهلِك بذلك : بدا الإكتساب لمن ليس يتأهَّل لأكناف ذلك العلوم، ولم يبصر بأدب من آدابهم، ولأن مِنْ شَأنِ هذا الإسرار أن تستغرق من تحقق بها و تصير عنده، إذ عَرْفُهَا أَقْصَى مراده و تعزُّ عليه، إذ لم يتلها الا بعد مكايدة المشاق و لزوم الاجتهاد، ودون الوصول إليها من ليس خرط القتاد، ولكن لمّا جهلناها دعوتَ إليها من ليس من أهلها، وأوقعت في قلوب هؤلاء الذين دعوتهم إن هذه المقامات العزيزة سَهِلت المنال فيا لله العجب، إذ كنت داعيا إلى مالك المقربين، وقد ذكر العلماء شرط الداعي إلى الله أن يكون عارفا مما يدعو إليه، فإذا لم تعرف ذلك طلبته من غير طريقه، بل أنت غافل عن أحكام الدعوة إلى الله في جميع الدوائر، إذ من شرط الداعي إلى الله أن

يرتب الأعمال كما ذكر العلماء فيدعو الكافر إلى الإسلام و العاصي إلى التوبة، والخروج من الآثام، ويدعو الجاهل إلى تعلم الأحكام حتى يفرغ من قواعد الإسلام علما و عملا ثم بعد إحكام ذلك و الإحاطة به ظاهرا وباطنا رقاه في معارج الإيمان، حتى يتحقق بحقيقتها و يعرف قواعدها و طريقتها، فإذا فرغ من هذا كله وأين لنا بمن يفرغ من هذا، دعاه إلى مقام الإحسان، اقتداءً بسيد ولد عدنان.

فانظر كيف رتَّب هذا الترتيب في حديث جبريل و انظر في سؤال الأمين إذ أتى بال(فا) في قوله «فأخبرني»، ستحقق أنه لا يمكن الترقي من درجة إلى مابعدها الا بعد إحكامها كما مرت الإشارة إلى ذلك في نقل كلامهم، فهذه الطريقة المُثلى.

فإن قلت : إني لم آمرهم بالسلوك على مقتضى ماذكروه الصوفية، بل أجعل لهم هذا الذكر وِرداً من الأوراد، وأجعل لهم الخلوة على غير الترتيب الذي ذكروه إنما مرادي يصفوا لهم الوقت لاجل تكون المذكر في قلوبهم قابلية.

قلت : يدور عليك قولك هذا من ثلاثة وجوه، الأول : الذكر المخصوص لابد له من آداب وشروط تقدمه المقررة فيما سبق من كلام العلماء.

الثاني : أن الواجب على هؤلاء ما قررناه آنفا من تعلم ما جهلوه و تدارك ما فوتوه، فشغلك هذا مانع لهم من القيام بالواجب عليهم، وما شغل عن الواجب كان حراما وإن كان مندوبا كما مر مع أن الذكر فيه فاضل و مفضول، فبعضه أفضل من بعض، فما ورد عنه ﷺ في الأذكار الصباح و المساء وغيرها في أوقاته أفضل من غيره من الأذكار، وإنما قاعدة السادة الصوفية رضوان الله عليهم إذا صدقت إرادة المريد واجتمع همه، شغلوه بذكر واحد والغالب كلمة الله الإخلاص وذلك لأن لا يشتت و

يتفرق عليه الهم، فبملازمتها مع الآداب الظاهرة و الباطنة يتحقق بمعانيها إلى آخر ما لهم من ذلك مما لا يصله فهمي ولا فهمك ولا بلغه علمي ولا علمك.

والوجه الثالث : أنك قد سمعت من كلامهم، أن الخلوة على قسمين قسم مقيدة بسياسة الشريعة مرتبط لقواعد أهل الطريقة فهذا إذا استجمعت فيه الشروط و الآداب هي الخلوة الحقيقة، والقسم الثاني : إن يختل فيه شرط من الشروط و أدب من الآداب فذلك خلوة شيطانية و شهوة نفسانية كما قدم تقريرها.

قلتَ : إن هذه طريقة الذكر في طريقة السادة النقشبندية أخذت منها كلها من الجاوة رسم الذكر و هيئته باللسان و ترجيعه في الصدور و تعلقه بالجنان وقلتَ ذكرك القلب و ذكر الروح و ذكر السر، وظننت أن هذه أسماء لجري الذكر على اللسان أو في الصدور ولم تعلم أنها أحوال و مقامات و منازل عليه زوفية[1] حقية وجدانية، فأنت إذًا غالط من وجهين، أحدهما : ماقررناه أن طريقة السادة النقشبندية من الطرق الصحيحة المستقيمة التي هي عين الشريعة كغيرها من الطرق فقد نسبت إليهم ما هم براء فأسأت الأدب معهم.

الثاني : أنهم اعتبروا الآداب الظاهرة و الباطنة كما مر عن التاج فإذا أخذت الذكر و اشتغلت به أو شغلت به غيرك و تركت الآداب و الشروط التي اعتبروها فقد خرجت عن طريقتهم لأن الذكر عمل لابد له من شروط و آداب، فإذا فقد بعض الشروط، فقد العمل، فمثالك مثال من أمر ذا جنابة و نجاسة في بدنه و ثيابه بالصلاة فكما أنه مأثوم

---

[1] كذا في «الأصل» ولعلها «روحية» والله أعلم.

بذلك صرت أنت مأثوم و مسيء إلى أهل الطريقة، إذ تأمر بعمل مختل الشروط و الآداب.

فأيُّ فائدة تعود على هؤلاء الذين تستعملهم بهذه الخلوة وهذا الذكر فحالك معهم كما ذكر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتابه «الكنوز» بعد كلام ساقه قال : «فمن ارتقى بالتقى والا هبط في مهاوي الشقا، و أما من ظهر من جمال الطريقة، وبرز بالعدول عن التحقيق حتى أوقع عقول العامة في الحرج و الضيقو وهو وإياهم في مكان سحيق، فاولئك والله هم الأسوؤن حالا والأخسرون أعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» انتهى.

ولو تتبَّعنا الدلائل على صحة ماقلناه، و إبطال ما أنتم عليه من هذه الطريقة من كلام علماء الشريعة و الطريقة و الحقيقة لاحتجنا إلى مجلدات، والقليل يكفي للمسترشِد، و الكثير لا يغني عن المعاند المفند، وقد تنزَّلنا في مجاورتك إلى منزلة الجهال، لأنَّ ما دعوت إليه وترسَّمتَ برسمه مع خلوِّك عن حقيقته أمرٌ لايمكن الخوض فيه الا لمن ذاقه.

وأما إظهار العلوم التي تَخفى على غالب الناس، فلا يجوز الخوض فيها كما ذكر الشيخ ابن حجر في الزواجر عند قوله «أنه يحرم كتم العلم» قال : «وكما يحرم كتم العلم يحرم الخوض فيه مع غير أهله مما لا تفهمه عقولهم، فقد جاء الحديث أمرنا أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، وجاء لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلمهم ولا تؤتوها غير أهلها فتظلموها، مع أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجاب للذي سأله عن غرائب العلم فقال له : ما صنعت في رأس العلم، قال : و ما رأس العلم، فقال له : هل عرفتَ الرب سبحانه وتعالى قال : نعم

إلى أن قال في آخر الحديث : اذهب فاحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم» انتهى بمعناه،فانظر إلى رتبته ﷺ إذ كان يخاطب كلاًّ بما هو الأهم عليه.

مع أنك قد كلَّفتَنا أن تذكر أشياء نخشى منها على العامة الإفتنان، كَذِكْرِ الحُجبِ بين العبد وبين الله، و المشاهدة، فيظنّ الجاهلُ أنَّ الحجب أشياء محسوسة، و أن المشاهدة رؤية و إحاطة، وأنَّ البَيْنَ مسافةٌ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وإنما يعبرون بذلك عن أحوال النفس فالحجب صفاتها الدنية، والأسرار و المشاهدات أوصاف القلب العلية، فيجب تنزيه الحق عما لا يليق بجلاله تعالى.

وقد أحوجنا إلى نقل هذا و أمثاله من كلام الصوفية، ففي التلبيس الحاصل في قلوب هؤلاء فهلكوا حيث ظنوا النجاة، **فلو أنا اقتصرنا على الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و النصوص الشرعية لربما تبقى في قلوبهم بقية لظنهم مما سمعوه منك أن طرق الصوفية شيء آخر،** فاحتجنا إلى إيراد بعض ذلك ، ولو أنك عدلت عن هذا إلى ماهو فرض عليك من تعليمهم ماجهلوه، و أمرهم بفعل ما وجب عليهم فعله مما تركوه، لسلِمتَ و سلِموا وظفرتَ بخَيرِيِ الدُّنيا و الآخرة، وظفروا.

فهذه نصيحة لك و لمن تبعك إنْ دَعَوْتَ، وحجةٌ عليك إن أبيتَ فما بعد الحق الا الضلال. وإن بقيتَ مستمسكٌ بما أنت عليه وأردتَ زيادةَ البيان قابلناك في ميدان الإمتحان، وسيظهر الحق و يتضح، و يدحض الباطل و يفتضح.

واعلموا أيها السامعون من أهل هذه الجهة ممن قد وقع في هذه الطريقة و أمثالها أني قد بيَّنتُ لكم بطلان ذلك، و إن الطريقة المرضية التي مشى عليها السادة الصوفية هي لزوم الشريعة المحمدية، فانظروا ما سبق من كلامهم ترونه موافقا لما أتى عن الله

ورسوله في الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، فإن كنتم تريدون يعلمكم هذا النجاة عند الله و القيام بحقه في الدنيا و الآخرة فانظروا كلام الله و كلام رسوله وكلام العلماء بالله، وإن كنتم ماتريدون الا ما أنتم عليه فهذه معذرة الله إليكم، إذ أنتم مأثومون بهذه الطريقة، فيجب عليكم التوبة و الرجوع عن هذا الحال واجعلوا بدله تعلُّم مايصحح لكم العقائد و الأعمال.

وانظروا بعين الإنصاف في ما أتى من الآيات و الأحاديث مع هؤلاء العلماء العظام الذين نقلنا عنهم، فهل يمكن أن يكون هؤلاء العلماء جميعهم يغلطون في كلامهم و يكون الصواب عندكم كلام هذا الحاج فقط؟ مع أن الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية تُبيِّن بطلانه، فمِنْ أين وقع عندكم صواب قوله الا لعدم اطلاعكم على ما قرر العلماء، فلذلك أحببت أن أنقل لكم ذلك رحمةً بكم وشفقةً عليكم.

فمَن سَمِعَ و أجاب فاز بالثواب، و من أعرض عن ذلك و أبى، فقد قال ﷺ «أيما عبد أتته موعظةٌ في دينه فإنما هي نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشكر، وكان المؤمنين، وإن لم يقبلها، فجر وكان من الكافرين الذين قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين».

ويجب على المتولين في هذه الجهة من ولاة المسلمين، أن يمنعوا هذا الحاج من هذا العمل، وكل من عمل، و من اتبعهم، فإن الولاة مخاطبون بذلك، وقد قال النبي ﷺ «كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته».

وقد بسطنا الكلام و كررناه لقصد الإفادة و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين و لا مضلين ولا فاتنين ولا مفتونين

وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

تمت الكتابة يوم الثلاثا خمسة من شهر المحرم سنة **١٣٠٣** هـ

تم